مظاهر الوسطية الدينية في العصر الوسيط وأثرها على نشر الإسلام

(دول الغرب الإسلامي أنموذجا)

The aspects of religious moderation in the Middle Ages and their impact on the spread of Islam
(Islamic West countries model)

أ. صالحي وداد

جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي

dzsalhi1@gmail.com

ملخص:

إن إثارة موضوع الوسطية الإسلامية والخوض فيه ليس بالأمر الهين، خصوصا في بلاد الغرب الإسلامي، حيث نجول في ثنايا تاريخها الحافل بين الإفراط والتفريط، والوسطية في جميع مجالات الحياة الحيوية، وهنا لابد من توخي الحذر؛ فلا بد من الموضوعية في الطرح ، واستعمال العدل لا اتباع الهوى على حد قول الحسن بن الهيثم[1] في مقدمة كتابه (المناظر).[2]

فالنضج الفكري المذهبي في الغرب الإسلامي، الذي ولد جراء صراع حضاري ، وصراع مذهبي عقدي، تتجلى فيه الوسطية في عدة مظاهر ونلمسها في تلك الفترة بين وجهيها الديني والتاريخي الحضاري، وهذا ما أدى إلى انتشار الدين الإسلامي بين شعوب إفريقيا. وهنا يتبادر للأذهان الإشكال التالي: ما مظاهر الوسطية الدينية في العصر الوسيط؟ وما مدى نشر الإسلام في إفريقيا ؟

Abstract:

It is not easy to raise the subject of Islamic mediation and discuss it, especially in the Islamic West and in its middle age, where we are in the midst of its long history between excessiveness, negligence and moderation in all areas of life. Here we have to be cautious, we should be

المنارة للاستشارات

subjective in this topic, also we ought to be fair and do not follow the fancy according to Hassan Ibn al-Haytham in the introduction to his book (mirrors).

The intellectual maturity of the Islamic West in the middle Ages, which was born as a result of a civilizational conflict and conflict of faith and creed, reflected the mediation in several aspects that can be observed in its religious and historical aspects. This led to the spread of the Islamic religion among the peoples of Africa. Thus, the following question is raised: What are the aspects of religious moderation in the middle Ages? How widespread is Islam in Africa?

ومن هذا المنطلق، سوف أبرز أهمية الوسطية الدينية ومكانتها في دول الغرب الإسلامي، وتسليط الضوء على دور الوسطية في نشر الإسلام في إفريقيا، والخوض في مسألة الإفراط والتفريط، وأثره على تراجع نشر الإسلام في إفريقيا.

ولهذا قسمت هذا العمل إلى مقدمة وأربعة عناصر وخاتمة، فتطرقت إلى ماهية الوسطية في الإسلام من جوانبها العديدة، من مفهومها اللغوي إلى مفهومها الاصطلاحي، وعرجت ثانيا على الفكر الوسطي لأهل السنة، وتطرقت إلى وسطية أهل السنة بين الفرق والمذاهب في العصر الوسيط (الوجه الديني) ، ودرست الوجه التاريخي في العنصر الثالث المتمثل في أثر الوسطية في نشر الإسلام خلال العصر الوسيط (دول الغرب الإسلامي أنموذجا) ، و الذي اندرج تحته عدة عناصر هي: 1- الدولة المرابطية ، ذكرت فيه: أ- الوسطية في الدولة المرابطية، ب- أثر الوسطية الدينية في نشر الإسلام عند المرابطين ، 2- الدولة الموحدية والوسطية المذهبية وأثرها على نشر الإسلام: أ- العقيدة التومرتية والوسطية، الوسطية في الدولة الموحدية ونشرها للإسلام وحضارته. وأخيرا درست الوسطية بين التفريط والإفراط في دويلات الغرب الإسلامي، وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا.

المنارة للاستشارات

ولإنجاز هذا العمل، اعتمدت المنهج التاريخي التحليلي الاستقصائي لأنني بصدد إسقاط مفهوم الوسطية الدينية على نهج دول الغرب الإسلامي، وأثرها على نشر الإسلام في إفريقيا .

أولا– ماهية الوسطية في الإسلام

1– لغويا:

الوسطية تدل على معان متقاربة، قال ابنُ فارس[3]: "الواو والسين والطاء: بناءٌ صحيح يدلُّ على العدل والنَّصَف، وأعدلُ الشيءِ أوسطُه ووسَطُه. ويقولون: ضربت وسَط رأسه بفتح السِّين، ووسْط القوم بسكونها، وهو أوسطُهم حسبًا، إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلاً" [4]، ووسط الشيء ما بين طرفيه، وقال الجوهري [5]: "وَسَطتُ القوم أسِطهم وَسْطًا وَسِطَة: توسطْتُهم، وفلان وَسِيط في قومه، إذا كان أوسطَهم نسبًا، وأرفعَهم محلاً، والوسطُ من كلِّ شيء: أعدله، ويُقال أيضًا شيء وسَط، أي: بين الجيد والرَّديء، وواسطةُ القِلادة: الجوهر الذي في وسطها، وهو أجودها"(6).

فأطلَقَ الوسط على ما كان بين طرفين مُتقابلين: أحدهما ممدوح، والآخر مذموم، كالجيد والرديء، وأطلق الوَسَط على الأجود بين جنسه، كوسط القلادة.

ويأتي بمعنى: "بين"، تقول جلست وسَط القوم أي بينهم[7]، غير أن هناك فرقًا معنويًّا دقيقًا بينهما؛ فإن "بيْن" لا تكون بعضًا لِما يضاف إليها بخلاف "الوسط" الذي هو بعضُ ما يضاف إليه، ألا ترى أنَّ وسط الدارِ منها، ووسط القوم غيرهم؟[8]، قال الراغب الأصفهانيُّ: "والوسط تارة يقال فيما له طرفانِ مذمومان؛ كالجود الذي هو بين البخل والسَّرَف، فيستعمل استعمالَ القصد المصون عن الإفراط والتفريط، فيُمدح به، نحو: السواء والعدل والنَّصف

المنارة للاستشارات

وتأتي الوسطيةُ أيضا بمعنى "الأعلى"، كما جاء في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه قال : ﴿ **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ؛ فإنه أوسط الجنة أو أعلى الجنة** ﴾ . . . ")[9].

2- الاصطلاح الشرعي:

جاءت الوسطية في الشرع بمعنى العدالة والخيرية والاتزان، والتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط،كما في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [10]، أي: عدلاً، وبهذا المعنى فسرها النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث أبي سعيد الخدري(11)، أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم[12]، والوسط: العدل، وقال عبد الرحمن السعدي [13] أي عدا وخيارا ، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها.قال ابن القيم: "ما أمر الله – عزَّ وجل – بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إمَّا تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو(14).

إنَّ الوسطيَّة هي الدين كله،فالإسلام هو الوسطيَّة"، ما دامت الوسطيَّة لا تخرج عن العدل، والخيار، والاستقامة، والاتزان، والقصد، و هذه المبادئ هي التي جاء الإسلام من أجلها.

ثانيا: الفكر الوسطي الإسلامي لأهل السنة

1- أمة الوسطية بين الأمم

أ- في الإيمان بالأنبياء والرسل

المسلمون وسَط في أنبياء الله ورسله، فهم لم يَغلُوا فيهم غلوَّ البوذيين، وغلو النصارى الذين اتخذوا أحبارَهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيحَ ابنَ مريم﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾(15)، ولا جفَوْا عنهم كما جفت اليهود؛ فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فلا شدة ولا

المنارة للاستشارات

تفريط في عبادة الله تعالى كما فعلت الأمم قبلها فمنهم من شدد على نفسه فشُدِّد عليه قال الله تعالى :﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَاكَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾.(16). وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذَّبوا فريقًا وقتلوا فريقًا، وكذَبوا على ربهم، بل المؤمنون المسلمون آمنوا برسل الله جميعًا، وأحبوهم وأطاعوهم، ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أربابًا، وآمنوا بجميع الكتب المنزلة على الرسل والأنبياء. فكان ذلك وسطية وتوازنًا بين أمرينِ مذمومين، هما: الغلو والجفاء.

ب- في العبادات.

وقد جعل الله أمة الإسلام أمة وسطا، حتى في العبادات لا إفراط ولا تفريط. فقد جاء عن أنس بن مالك – رضي الله عنه –: "جاء ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – يسألون عن عبادة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فلما أُخبروا، كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي – صلى الله عليه وسلم –؟ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا، فإني أصلِّي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهرَ ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساءَ ولا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – إليهم، فقال: ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكني أصوم وأفطر، وأصلِّي وأرقد، وأتزوَّج النساءَ؛ فمن رغب عن سنتي، فليس مني))[17]، أي من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَاكَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[18]، فإن الذين ابتدعوا التَّشديد كما وصفهم الله تعالى. وقد عابهم بأنهم ما رعَوْها حقَّ رعايتها. وطريقة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – الحنيفية السمحة، فيُفطر ليتقوَّى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوَّج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل، وجاءت الأمة الإسلامية وسطاً بين طرفين وعدلاً بين

المنارة للاستشارات

ظلمين قال تعالى :﴿ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[19]،وقال تعالى :﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[20]، فإرادة الله اليسرُ في الأوامر ونهي عن الشدة.

ت- في التشريع الإسلامي

لا شك أن التشريع الإسلامي هو التشريع الوسَط والأكمل بين الشرائع، لأن الشريعةَ الملزمة في كتاب الله وسنَّة رسوله – صلى الله عليه وسلم – هي الأساسُ في وحدة الأمة الفكرية. وينبغي التمييزُ بين أحكام الشريعة، متمثلةً في نصوص الكتاب والسنة، وبين الاجتهاد والنظر في هذه النصوص؛ ولذلك فإن الوسطيةَ تبدو في حقيقتها وفي أكمل صورها، في النصوص الشرعية ذاتها، والفقهُ الإسلامي في جملته يستلهم تلك الوسطيةَ المثلى القائمة في النصوص.

وحتى إذا كانت هذه القوانين تنشدُ العدالة، فإن العدل بوصفه قيمةً، ومن الأمم السابقة من فرط وضيع وترك الأوامر واتبع الشهوات واختلفوا على أنبيائهم فكان ذلك سببا من أسباب هلاكهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: « مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلاَفُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ[21].ومما يؤكِّد وسطية المنهج الإسلامي في التشريع، أن هذا المنهاج الإسلامي مبنيٌّ على التيسير، ورفع الحرج، قال الله تعالى –: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[22] ، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [23]. وكان – صلى الله عليه وآله وسلم – يترك بعضَ الأفعال خشية المشقَّة على أمته، وكان إذا خيِّر بين أمرين، اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا. ولما بعَث – صلى الله عليه وآله وسلم – معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن، قال لهما: ((يسِّرَا ولا تعسِّرَا، وبشِّرَا ولا تنفِّرَا)) [24]؛ متفق عليه.

2- وسطية أهل السنة بين الفرق والمذاهب في العصر الوسيط (الوجه الديني)

المنارة للاستشارات

أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمته سيقع فيها التفرق والاختلاف، فقال: "افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"[25].

أ- وسطية أهل السنة في صفات الله عز وجل بين الجهمية و المشبِّهة.

فالجهمية[26] نفوا صفات الله تعالى وقابلهم على النقيض المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه في صفاته[27]. و أهل السنة يثبتون صفات الله تعالى وعدم تشبيهها بصفات أحد من خلقه ممتثلين قوله تعالى :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[28]، وهذه ردا على الممثلة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[29]ردا على المعطلة، قال بعض السلف: المعطِّل يعبد عدماً، والمشبِّه يعبد صنماً، والموحِّد يعبد إلهاً واحداً صمدا [30].

ب- وسطية أهل السنة في الإيمان والعمل بين المرجئة والوعيدية.

فالمرجئة[31] أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان وجعلوه شرط كمال، لاسيما غلاتهم الذين بالغوا في ذلك، وأولئك كفَّروا مرتكب الكبائر وأخرجوه عن مسمى الإيمان بمجرد ارتكابه لكبيرة من المعاصي. وغلت طائفة منهم فكفرت حتى مرتكب الصغائر[32]، وهذا لشدة فرط جهلهم بنصوص الكتاب والسنة. ولو علموا لما وقعوا في هذا الخلل .

فكان أهل السنة على الحق والوسط بين الطرفين ، فأثبتوا أن العمل من الإيمان، بل إن بعض الأعمال لا يقوم الإيمان إلا بها، وابتعدوا عن تكفير أحد بمجرد ارتكابه لكبيرة أو معصية دون الشرك ما لم يستحلها.

ت- وسطية أهل السنة في الأولياء وكراماتهم بين الصوفية الغلاة والمعتزلة النُّفاة

المنارة للاستشارات

لا شك أن الصوفية[33] غلت في إثبات كرامات الأولياء إلى حد التعظيم والتأليه لهؤلاء الأولياء، بغض النظر عن صحة دعوى هذه الولاية، فجعلوهم يعلمون الغيب ويفعلون كل ما يريدونه، فعبدوهم من دون الله، واستغاثوا بهم، ودعوهم وطافوا بقبورهم عياذاً بالله. وعلى النقيض، كان عمل المعتزلة[34] الذين أنكروا الكرامات.

كان أهل السنة مثبتين للكرامات التي يجريها الله على يد عبده التَّقي الذي ظهر صلاحه واتباعه للكتاب والسُّنة، فإن كان غير متبع لهما، فهو أحد الدجالة السحرة الذين يتعاملون مع الجان. ونقل ابن تيمية رحمه الله عن أبي يزيد البسطامي قال: " لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف وقوفه عند الأوامر والنواهي"[35].

ث- وسطية أهل السنة بين الجبرية والقدرية:

فالجبرية قالوا إن العبد مجبور على فعله، فهو عندهم كالريشة في مهب الريح لا اختيار ولا مشيئة له[36]. وعلى النقيض قالت القدرية: بأن العبد يخلق فعل نفسه وليس لله مشيئة ولا اختيار في فعل العبد[37]. وكِلا هذين الفكرتين فيه انحراف عظيم والحق وسط بينهما، هدى الله إليه أهل السنة والجماعة، فأثبتوا فعلاً للعبد قدرة ومشيئة، ونفوا أن يكون العبد هو الخالق لأفعاله، لأن العبد وأفعالهكلها مخلوقة لله تعالى. ففعله وقدرته ومشيئته لا تخرج عن قدرة الله تعالى ومشيئته، قال تعالى:﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[38].

ج-وسطية أهل السنة في آل البيت بين النواصب والروافض:

فالنَّواصب جفوا في أهل البيت وناصبوهم العداء وأبغضوهم،[39] ولا حول ولا قوة إلا بالله، والرافضة [40] غلوا في آل البيت حباً كذبا وزوراً، فجعلوهم معبودين من دون الله تعالى، لا سِيّما علياً رضي الله عنه.[41]

المنارة للاستشارات

أما أهل السنة نهجوا إلى خير سبيل وأقوم طريق في آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، فاعتقدوا فضلهم، ودانوا الله بحبهم، وعرفوا شرف مكانتهم وقربهم من النبي صلى الله عليه وسلم، ووقروهم واحترموهم دون غلو في أحد منهم كما فعل الرافضة الكاذبون، ودون تنقص لأحد منهم كما فعل الناصبة الظالمون. فهم بين ذلك سائرون يذكرون فضائلهم، ويعفون عما صدر عنأحدهم من الزلل، امتثالا لأمر الله عز وجل : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[42].

ولما سار الصحابة في عهود الخلافة الأربعة على هذا النهج، وتجردوا من شهوات الدنيا ، كانت الوسطية ظاهرة تتجلى في تحكيم شرع الله وتطبيق حدوده ، حتى قال أبو بكر رضي الله عنه مقالته المشهورة: "أينقص الدين وأنا حي"[43].

ثالثا: أثر الوسطية في نشر الإسلام خلال العصر الوسيط (دول الغرب الإسلامي أنموذجا)

1- أثر الدولة المرابطية والوسطية الدينية

أ- الوسطية في الدولة المرابطية:

اعتمد الحكم عند المرابطين على نظام الشورى في بداية الدولة، واستمدوا أحكام دستورهم وفق ما يقتضيه المذهب المالكي. لكن بعد ما ولى يوسف بن تاشفين ابنه للحكم ليحافظ على وحدة الدولة الناشئة، انحرف نظام الحكم وأصبح وراثيا، غير أنه يعتمد على مشورة الفقهاء (البيعة الخاصة). واستمر هذا النظام إلى أن سقطت هذه الدولة. وكما رأينا أن الدولة نشأت على أساس إصلاح الدين، والتمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة، والفقه المالكي، ومحاربة البدع والجهل. وعليه فهم اتبعوا المذهب السني، وهي أول دولة إسلامية استطاعت أن تقضي على التعدد في الاتجاهات المذهبية"[44].

المنارة للاستشارات

و الوسطية الدينية تجلت بشكل واضح في هذه الدولة التي اتخذت المذهب المالكي أساسا للحياة الدينية، لأنها كانت دولة فقهاء متمكنين عارفين بالدين. وتفاديا لتشكيك المصادر والمراجع على تطبيق الوسطية الدينية في الدولة المرابطية، كان من خلال ما ذكر من نقوش على عملتهم. وهنا نلاحظ على الدينار احتواءه على الاقتباس القرآني المكتوب في هامش الوجه. **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** "[45]. ولقد جعلها المرابطون شعارا لدولتهم، لأنها رافقت جميع فترات مراحل تطور عملتهم. وهي بمعنى من سلك طريقا سوى ما شرعه الله، فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، [46]. وفي العموم هذه الآية رمز إلى التوحيد الخالص، والرجوع إلى صفاء الإسلام الذي هو أساس دعوة المرابطين. [47]

واحتواء هذه العملة على اسم الأمير المرابطي، مثلا في عملة أبي بكر بن عمر وغيرها من العملات المرابطية ، نجد لقب "**الأمير**" من الألقاب الوظائفية التي استعملت كذلك كألقاب فخرية[48]، ولقب "**الإمام**" كانت له قيمة خاصة نظرا لأهميته الدينية[49]. وقد صار لقبا عاما للخلفاء[50]، ويغلب على مدلوله معنى الزعامة الروحية، وقد يأتي بمعنى القدوة[51]. وقد ورد لفظ الإمام في مواضع عديدة من القرآن الكريم[52] والأحاديث النّبوية[53]، وهذا التوسط في النهج بين ألقاب وشعار لدولتهم.

1- أثر الوسطية الدينية في نشر الإسلام عند المرابطين :

تم توحيد القبائل الصنهاجية[54] على يد الزعيم السياسي الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي[55]، وتم نشر الدين الإسلامي ومحو الجهل بين القبائل الصنهاجية على يد الفقيه عبد الله بن ياسين[56]، الذي ارتحل مع يحي بن إبراهيم إلى لمتونة[57]، وبدأ يعلمهم العقيدة الإسلامية. وعندما شدد عليهم في تطبيق الأحكام، ثاروا عليه وعارضوا دعوته، فعزم على الرحيل إلى بلاد السودان[58]. ولما سمع يحي بذلك، أصر عليه بالبقاء، فدله على جزيرة على البحر في السينغال، وارتحل معه سبعة من رجال كدالة[59]، واستقر بها

المنارة للاستشارات

وأنشأ رباطا[60]. ومنذ ذلك الوقت سموا بالمرابطين[61]، مع انضمام القبائل الصنهاجية لدعوة عبد الله بن ياسين والعمل على طاعته[62].

بدأ التوسع في المغرب الأقصى، فاتجه المرابطون إلى أودغشت[63] سنة(446هـ/1054م)[64]، وعندما شاع أمرهم اتصل بهم فقهاء سجلماسة ودرعة[65]، وفي هذه الأثناء توفى يحي بن عمر في إحدى المعارك، عام (447هـ/1055م)، فخلفه أخوه أبو بكر بن عمر اللمتوني[66] سنة(448هـ/1056م)، فاتجه مع عبد الله بن ياسين إلى بلاد السوس و المصامدة[67]، فجعل في مقدمة جيشه ابن عمه يوسف بن تاشفين[68]، وتمكنوا من إخضاع قبيلة جزولة[69] وتارودنت[70] وجبل درن[71]، ودخل المرابطون مدينة أغمات، ثم توجه عبد الله بن ياسين إلى برغواطة[72] التي كان لأهلها معتقدات وعقائد فاسدة[73].(أعطي أمثلة لهذا الفساد)

عمل يوسف بن تاشفين على إصلاح أحوال البلاد، فاستفحل أمره في بلاد المغرب، ولما علم أبو بكر بذلك عاد من الصحراء، وتنازل أبو بكر ليوسف عن حكم البلاد، وقفل عائدا إلى الصحراء لنشر الإسلام على نهج الوسطية. وله الفضل الأكبر بعد الله عز وجل في إسلام تلك المناطق الموغلة في الصحراء[74]. وبعدها بدأ يوسف في إتمام بناء مدينة مراكش[75]، فتوجه إلى مدينة فاس[76]، ودخلها صلحا عام(455هـ/ 1063م)، وجعل عليها عاملا له، وارتحل بعدها إلى بلاد غمارة[77] عام(460هـ/1067م)، ودخل يوسف إلى طنجة ثم مدينة سبتة[78] عام (477هـ/1084م)[79]، ووجه حملة إلى المغرب الأوسط عام (472هـ/1080م)، للقضاء على إمارة زناتة[80] بتلمسان، وتمكن من دخولها سنة(473هـ/1080م) وسائر قبائل الريف[81]. وهنا عزموا على العبور إلى الأندلس. وتزامن ظروف انشغال يوسف بن تاشفين بتأسيس دولة كبيرة في المغرب مع الأحداث في بلاد الأندلس التي تتطور بظهور دول الطوائف[82] وصراعهم الإسلامي الإسلامي، الذي أوجد فرصة للنصارى بقيادة ألفونسو السادس[83] للاستيلاء على

المنارة للاستشارات

العديد من مدن الأندلس[84]. وفي ظل هذه الظروف، استنجد الأندلسيون بيوسف بن تاشفين[85] الذي اتجه إليهم، وكان ألفونسو السادس يحاصر سرقسطة[86]، وهنا التقى الجيشان بموقع يعرف بالزلاقة[87]، ووقعت معركة بين الطرفين في رجب سنة (479هـ/1085م)، وكان النصر حليف الجيش المرابطي[88]، غير أن يوسف بن تاشفين قفل عائدا إلى بلاد المغرب[89]، وعبر يوسف بن تاشفين للأندلس للمرة الثانية في عام(481هـ/ 1088م)وحاصر حصن ليبط[90]، لكنه فشل في ذلك[91]، ثم عبر للمرة الثالثة في سنة(483هـ/ 1090م) وهو عازم على إسقاط ملوك الطوائف، فضم إليه غرناطة[92] وأشبيلية[93] عام(484هـ/ 1091م)[94]، واستولى على المرية[95]وما حولها من مدن[96].

ناهيك عن سياستهم ومعاملاته مع عامة الشعب من أول مؤسسها عبد الله بن ياسين إلى إرساء قواعد دولتهم على نهج الوسطية ، وهذا عندما كان الفقهاء على دين الوسطية. وفي الوقت الذي تشدد فيه الفقهاء وتمسكوا بكتب الفروع وجعلوا الدين بين دفتي تلك الكتب، وسفرة المرأة، ضاع الملك وانهارت الدولة، وهذا بسبب التفريط في كتب الأصول والإفراط في التحكيم بكتب الفروع، والإفراط في تحرر المرأة المرابطية وغيرها. وهنا جاءت الدولة الموحدية لحمل مشعل الوسطية المتمثل في المذهب الأشعري المغربي، الذي كان يحمل سمة الوسطية الدينية في جميع مظاهرها، على عكس الأشعرية المشرقية التي تغلغل فيها علم الكلام ولا سيما الفلسفة.

2- الدولة الموحدية والوسطية المذهبية وأثرها على نشر الإسلام

أ –العقيدة التومرتية والوسطية:

إن ابن تومرت تأثر بالعديد من المذاهب والفرق الإسلامية، حيث أخذ منها ما يلائم اتجاهاته، ويخدم أهدافه، ولهذا جاء تراثه الفكري خليطاً مضطرباً متأثراً بكثير من النزعات الفكرية الغالبة، ولهذا فإنه يبدو من المقبول أن يطلق عليها العقيدة التومرتية،

المنارة للاستشارات

وذلك لتميزها عن كل المذاهب السابقة بمنهج مستقل[97]، فهو في مسألة الإمامة يقول برأي الرافضة حيث قال: "لا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب الإمامة في كل زمان إلى أن تقوم الساعة، ما من زمان إلا وفيه إمام لله قائم بالحق"[98]. وهو بهذا القول يوافق الشيعة الذين يجعلون الإمامة أصلاً من أصول الدين[99].

كذلك تأثر ابن تومرت بمذهب المعتزلة، حيث قال ببعض آرائهم كقوله: إن الله لا يكلف العبد ما لا يطيق، كما سمى مرتكب الكبيرة بالفاسق ولم يسمه بالمؤمن أو الكافر، وهذا قريب من مذهب المعتزلة[100]. كما وافقهم في نفي الصفات عن الله[101] سبحانه وتعالى[102]. كما نهج ابن تومرت نهج الأشاعرة[103] في تأويل بعض صفات الله – سبحانه وتعالى[104]. وبالإضافة إلى ما سبق، فإن الدارس لتراث دعوة ابن تومرت، يدرك أنه قد تأثر بكثير من آراء الخوارج[105]، وهذا وجه من وجوه الوسطية الدينية التي قامت عليها الدولة الموحدية وتقبلها الناس كملاذ روحي لما شهدته المنطقة من صراعات عقائدية.

ب–الوسطية في الدولة الموحدية ونشرها للإسلام وحضارته

بعد أن تسربت عوامل الضعف و الهوان إلى الدولة المرابطية ، بدأت تعاني الانحلال والانهيار،وبرز محمد بن تومرت [106]، كزعيم روحي والمؤسس الأول لدولة الموحدين[107]. وقد حمل لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان من مظاهر عظمة الدولة، هو تلقب ملوكها بأمراء المؤمنين، حيث أسسوا أكبر وأبرز مملكة عرفها الإسلام بالمغرب. وكانت الدولة ذات طابع فريد ارتكزت على فكرة المهدوية، ونشرهم العقيدة الأشعرية التي تشربها ابن تومرت من رجال الدين والفقه بالمشرق في رحلته المشهورة سنة 500هـ[108]. فبعد أن بلور هذه الفكرة واتخذ لنفسه لقب المهدي، كان عليه أن يحيط هذا اللقب بنسب آل البيت، وذلك لإضفاء طابع التقديس[109]. وناظر ابن تومرت الفقهاء الذين أحضرهم أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، وتفوق عليهم،

المنارة للاستشارات

وبذلك أمره الأمير أن يرحل من المغرب، فرحل هو وأتباعه إلى تينملل[110]، من السوس، فبويع له سنة 515هـ. وكان أول من بايعه عبد المؤمن بن علي[111]، وكان طالعهم الديني يتجسد في كلمة التوحيد ومعناها وحدانية الله وعدم الإشراك به. وسمى أصحابه بالموحدين، فلها مدلول ديني قام عليه مبدأ هذه الدولة الجديدة[112]، وسبب تسمية ابن تومرت لأصحابه بالموحدين لأنهم أول من تحدث في التوحيد وعلم الكلام في المغرب [113]. ومن هنا افتتن به الناس وعظموه أشد تعظيم حتى بالغوا في ذلك، حيث لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو ابنه لبادر إلى ذلك من غير إبطاء[114]. وبعدها جهز جيشا قويا من المصامدة[115] سنة 524هـ[116]، وكانت وجهته مراكش حاضرة المرابطين[117].

بعد سقوط مراكش، عمل عبد المؤمن بن علي على بسط نفوذه في أكبر مساحة عرفها المغرب الإسلامي، وسبب هذا الانتصار يرجع إلى التنظيم المحكم والدعوة الدينية الجديدة القائمة على التوحيد والمبنية على فكرة المهدوية، فالتنظيم المحكم ساعد على صهر القبائل المصمودية التي جعل منها وحدة متماسكة تنضوي تحت راية الموحدين[118]. ولم يمض أكثر من ربع قرن حتى كانت الدولة قد امتدت من طرابلس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن الصحراء الإفريقية جنوبا إلى جبال الشارات في الأندلس شمالا[119].وفي عهد أبي يوسف يعقوب المنصور[120](580- 595هـ/ 1184- 1199م) أقام الخليفة العدل وراجع الولاة، وكانت له واقعة الأرك على النصارى سنة 591هـ. وعند ضياع الوسطية في العقيدة التومرتيه على يد أبناء عبد المؤمن بن علي، بدأ ضياع ملكها، بالرغم من أن الدولة الموحدية لعبت دورا هاما في تاريخ المغرب والأندلس في سجل التاريخ والحضارة العربية الإسلامية. وقد امتدت على الرغم من ذلك حتى سنة 668هـ 1269م،وقد عمرت مائة وأربعا وأربعين سنة وأحد عشر شهرا وعشرين يوما[121].

المنارة للاستشارات

رابعا: الوسطية بين التفريط والإفراط في دويلات الغرب الإسلامي وأثره على نشر الإسلام في إفريقيا.

كانت الوسطيةُ الإسلامية بمعناها القرآني غائبةً تمامًا عن كل القوانين الوضعية، ولا سيما في أصولها القديمة، وحتى إذا كانت هذه القوانين تنشدُ العدالة، فإن العدل بوصفه قيمةً، تتغير صورتُه بحسب الزمان والمكان. ومن هنا الوسطية ترمز الى العدالة، ومثال ذلك الدولة الموحدية وإقراراها إلى قانون إجبارية التعليم وذلك في عهد عبد المؤمن بن علي، وقد عممه على سائر الأمة رجالا ونساء. وهذا ما جاءفي إحدى الرسائل الموحدية " **ويلزم العامة ومن في الديار بقراءة العقيدة– التي أولها: اعلم – أرشدنا الله وإياك – واحفظها وتفهمها، وأشمل في هذا الإلزام الرجال والنساء**". وهذا إن دل على شيء إنما يدل على العدل في التعليم بين الجنسين. وطبعا كان تعليم المرأة في ذلك الوقت في دارها بصفة عامة.[122]

ونجد الإفراط في تملك الجواري وتعدد الزوجات بشكل مفرط لدى الملوك الأمويين والعباسيين. فلولا الإفراط في طلب الجواري الحسان من ولاة المغرب في إفريقيا حتى بعد دخول المنطقة في الإسلام، لما خرجت بلاد المغرب من أيديهم، وبداية الثورات ونشوء الدويلات المستقلة، وبروز عدة مذاهب وجدت أرضا خصبة لنشاطها الديني الذي تحول إلى نشاط سياسي بمرور الوقت[123].

وفي عهد المرابطين، كان الإفراط في حرية المرأة في شتى الميادين، وكان هذا من الأسباب الرئيسية التي ارتكزت عليها دعوة الموحدين في قيام دولتهم. وكان الإفراط سببا في سقوط دولة وحدة العدوتين. وكان إفراط وتساهل الفقهاء على حساب المذاهب الموجودة في البلاد، وكبت الحريات المذهبية، وخصوصا المتصوفة. وهذا أدى إلى نشوب الصراعات المذهبية، ونشوء بيئة خصبة لنمو مذهب يحمل مبدأ الوسطية الإسلامية ، وتكريسها في دولة مستقلة مثل الدولة الموحدية.

المنارة للاستشارات

وبوجه نقيض في الدولة الرستمية[124] التي كانت عادلة لا إفراط ولا تفريط في التعامل مع المذاهب والفرق الدينية التي وجدت في تلك الفترة ، والتي نطلق عليها اليوم صفة التعايش الفكري. فقد استمر المذهب المالكي راسخا في حواضر المغرب الإسلامي.وكان أول ظهوره في عهد عبد الرحمن بن رستم (144- 168هـ) مؤسس الدولة الرستمية. ومن بين علماء المذهب المالكي: ابن الصغير الذي عاش في تيهرت في عصر الرستميين الأخير، وذلك في عهد أبي اليقظان بن أفلح(242- 281هـ) [125]، حيث كان شيخا من شيوخ المالكية. ولم يقف ابن الصغير موقف العداء من المذهب الإباضي ، بل كان يحاور ويناظر رؤساء الإباضية والمعتزلة، لاسيما في المسائل الفقهية [126]؛ ونفس الدور لعبه بكر بن حماد بن سهل بن أبي اسماعيل الزناتي. فهو إمام فقيه عالم بالحديث، نشأ أيضا بتيهرت[127]. وبالرغم من الوسطية الدينية المتمثلة في الحرية الفكرية والثقافية والانفتاح الحضاري، غير أن هذا الجانب لم يكن كافيا لنشر الإسلام على نطاق واسع في إفريقيا، وهذا جراء دخول المذهب الشيعي إلى المغرب الإسلامي الذي فرط في الوسطية الدينية، وأفرط في التشيع. ولهذا لم تعمل الدولة الفاطمية[128]على نشر الدين الإسلامي على مبدأ الوسطية المتمثل في المذهب الملكي، بل غالت في تقتيل المسلمين. وهذا أدى إلى انكماش الرقعة الجغرافية للدين الإسلامي في عهدهم، وخاصة في المغرب الأوسط. [129]

خاتمة:

✓ إن تطبيق الوسطية ليس رغبةً ولا تمنياً بقدر ما هو اتباع واقتداءٌ واهتداءٌ بما جاء به خير الورى صلى الله عليه وسلم قال تعالى :﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾((130))

✓ إن المتأمل في حال الأمم قبل الإسلام، يجد أنها كانت قائمة على الجاهلية والتعصب المقيت، وليس فيها شيء من مقومات الوسطية؛ فهي ما بين جافٍ وغالٍ لا

المنارة للاستشارات

يعرفن للوسط سبيلاً، وذلك أنها حرَّفت أديانها وتنكرت لرسلها وانحرفتعلى صراط ربها عز وجل.

✓ إن التطبيق الفعلي للوسطية، هو اتباع النَّهج القرآني والسَنة النبوية بغية تطبيقها حقاً. ولا شك أن الشَّرع جاء بالمقومات والخصائص التي بينت الوسطية وكفلت تطبيقها، وذلك من خلال الكثير من الآيات والأحاديث التي حددت معالم الوسطية، وبينت مدلولاتها ومعاييرها التي ينبغي أن تكون عليها وأن تنطلق منها.

✓ وجاءت السنة الشريفة بياناً شافياً ومعياراً كافياً لكل من أراد أن يطبق الوسطية حقيقة ويعمل بها، وذلك من خلال السيرة العطرة والشمائل الطيبة التي حَبَاها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم. فجاءت سيرته تحمل في طياتها منهج حياة كامل مطابقاً لِما في التنزيل، كيف لا وهو الذي اصطفاه الله من بين العالمين ليكون صاحب المنهج الرباني والسنن القرآني؛ كما روى وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ."

✓ أن النضوج الفكري المذهبي في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ولد جراء صراع حضاري وصراع مذهبي عقدي، وتتجلى الوسطية في مظاهر الحياة العامة ونشر الإسلام بين شعوب المنطقة.

✓ إن مسألة الإفراط والتفريط في جوانب من الدين الإسلامي يؤدي إلى خلل في التوازن الروحي للشعوب المستحكمة، ومنه تراجع انتشار الإسلام، لأنهم أخلوا بعنصر مهم في العقيدة الإسلامية، وهو الوسطية الدينية.

✓ كل باحث أو مطلع على تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، يلاحظ أن الدولتين المرابطية والموحدية قد وحدتا العدوتين، وازدادت وتيرة نشر الإسلام في المنطقة ، وذلك عندما كانتا على نهج الوسطية في فتراتها الأولى إلى أن وصلتا إلى مرحلة الرفاهية

المنارة للاستشارات

على حد قول ابن خلدون في مقدمته. وهنا اختلت موازين الوسطية، التي نتجت عنها بداية انهيار الدولة وتراجع نشر الدين الإسلامي.

الهوامش:

(1) – هو أبو علي الحسن، المعروف بابن الهيثم. ولد بالبصرة بجنوب العراق عام 965 م . وتوفي في الجامع الأزهر بالقاهرة عام 1039 م . أهم مصنفاته « كتاب المناظر ». انظر ص 141 في موسوعة ميزان المعرفة ج1 لحجر عاصي.

(2)نفسه ص 26 – 27 .

(3) – هو أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي ، اللغوي الأديب ، من مؤلفاته : معجم اللغة ، والمجمل ، توفي سنة 395 هـ . انظر: أبا العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (608-681هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر،ج1، بيروت ، (دت) ، ص 118.

(4) – أبو الحسين أحمد بن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، (دط)، ج6، إيران، (دت)، ص 108.

(5) –الجوهري: هو إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، وهو من بلاد الترك من فاراب، كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما، له صنفات أشهرها كتاب الصحاح في اللغة توفي سنة 98هـ. ينظر: ياقوة الحموي: **معجم الأدباء**، (د د ن)، (دط)، ج 6، (دت)، ص 151.

(6) – الجوهري: الصحاح، مادة وسط.

7 – أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور: **لسان العرب**، دار صادر، (د ط)، ج7، (دت)، ص427، فصل الواو باب وسط..

(8) – الحافظ محمد بن جرير بن يزيد الطبري: **جامع االبيان عن تأويل آي القرآن** ، تح: بشار عواد معروف و عصام فارس الخرساني، مؤسسة الرسالة للطباعة والتوزيع،ج2، ط1، 1415هـ- 1994م، ص 2-7.

(9) – صحيح البخاري: **كتاب الجهاد والسير**، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ج6،رقم الحديث: 1028، ص11.

(10) – سورة البقرة الآية 143.

المنارة للاستشارات

(11) – هو سعد بن مالك بن سنان، يتصل نسبه بخدر بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، وهو سابع المكثرين من الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم، توفي عام 74هـ. ينظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين: **تهذيب التهذيب**، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ج3، ط1، الهند، 1325، ج12، ص 479.

(12) – البخاري :صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (وكذلك جعلناكم..)، ج5،ص 176، رقم 487. ينظر أيضا : الحافظ محمد بن جرير بن يزيد الطبري: تفسير الطبري،المرجع السابق، ج2، ص7.

(13) –هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي التميمي الحنبلي، ولد سنة 1307هـ بعنيزة السعودية، وهو عالم نبغ في علم العقيدة والتفسير والفقه وغيرها من العلوم، توفي سنة 1367هـ.ينظر عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ: **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط2، (دب)، 139هـ، ص 392.

(14) – **الوابل الصيب**، تح: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1985، ص 24. وللاطلاع أكثر ينظر: موقع www.blggerexp.com

(15) – سورة المائدة الآية (72).

(16) – سورة ا لحديد الآية(27).

(17)– أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث (5063)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه، حديث رقم (1401).

(18)– أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث (5063)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه، حديث رقم (1401). ينظر ايضا حول الموضوع: ardalrebat.nef

(19)– سورة الحج الآية(78).

(20)– سورة البقرة الآية(185).

(21)– البخاري ومسلم واللفظ لمسلم باب تَوْقِيرِهِ –صلى الله عليه وسلم– وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ رقم(6259).

(22)–سورة البقرة الآية 185.

(23) – سورة الحج الآية 78.

(24)– رواه مسلم باب فِي الأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ رقم(4622).

(25) – أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، دائرة المعارف النظامية، دار الكتب العلمية، (دط)، ج1، حيدر آباد، ص 128. ينظر ايضا: www.khatmiya.com

(26)– وهم أصحاب جهم بن صفوان (ت 128هـ)، وسموا بذلك نسبة إليه. أنظر: أبو الفداء الحافظ لن كثير: **البداية والنهاية**، تح: أحمد أبو ملح ورفاقه، دار الكتب العلمية، ط1، ج10، بيروت، (دت)، ص 27.

(27) – محمد عبد الكريم الشهرستاني: **الملل والنحل** ، تح: عبد العزيز محمد الوكيل، دار الاتحاد العربي للطباعة، نشر مؤسسة الحلبي وشركائه، ج1387،1هـ- 1968م، ص 88.

المنارة للاستشارات

(28)– سورة الشورى الآية 11.

(29) – سورة الشورى الآية 11.

(30) – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: **منهاج السنة**، محمد رشاد سالم، مطبعة المدني ، ج2، (دط)، القاهرة، (دت)، ص 111.

(31)– المرجئة: نسبة إلى الإرجاء وهو تأخير العمل عن الإيمان، وهو على معنيين، فالأول بمعنى التأخير، والثاني بمعنى إعطاء الرجاء. انظر: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي: **الفرق بين الفرق**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (دت)، ص 202.

(32) – محمد بن يحي العدني: **كتاب الإيمان**، تح: حمد بن حمدي الجابري، الدار السلفية، ص1، (دت)، ص 1407.

(33) – الصوفية: لهم عدة تعريفات، من ذلك لبسهم الصوف. انظر: أبا القاسم القشيري(ت 465هـ- 1074م): **الرسالة القشيرية في علم التصوف– سير ذاتية ومنهاج ومفاهيم صوفية لأقطاب التصوف الإسلامي**، تح: عبد الحليم محمود و محمود بن الشريف، دار الشعب، (دط)، ج1، مصر، 1987، ص 126.

(34) – . **المعتزلة:** همأتباعواصلبنعطاءالبصري،وسموابذلكلأنهماعتزلواقولالأمةفيأنالفاسقمنالمسلمينهو بينّمرتبةالكفروالإيمان. انظر: الشهرستاني: نهاية الإقدام ، تصحيح: ألفرد جيوم، (د د ن)، (دط)،ج1، (دت)، ص 48.

(35) – تقي الدين أحمد بن تيمية : **مجموع الرسائل والمسائل**، دار الكتب العلمية، ط1، ج 11 ، (دب)، 1403هـ- 1983م، ص 466.

(36) – الشهر ستاني: الملل والنحل، ج1، ص 37. Uqu.edu.sa

(37) – عبدالقاهربنطاهر البغدادي (ت 429هـ/ 1038م) :**الفرقبينالفرق**،تح :محمدمحي الدين، دار المعرفة، (د،ط)، بيروت، (د،ت)،ص ص 39-40.

(38)– سورة التكوير الآية 28- 29.

(39) – محمد آل كاشف الغطاء: **أصل الشيعة وأصولها**، تح: حسن إسماعيل، جدار الضوء، (دط)، لبنان، 1990، ص 118.

(40)– الرافضة: هم قوم من الشيعة سموا بذلك لأنهم تركوا زيدا بن علي. انظر: أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، ص 12.

(41) – عبد الله بن محمد السلفي: **من عقائد الشيعة**، (دم ط)، ط3، (دب ن)، 2007، ص 10. انظر : الشهرستاني: الملل والنحل، ص 118.

(42) – سورة التوبة الآية 100.

المنارة للاستشارات

(43) –محمد باكريم محمد با عبد الله: وسطية أهل السنة بين الفرق ، دار الراية، ط1، الرياض، 1994، ص 293.ينظر ايضا: Sh.rewayat2.com

(44)– أبو الحسن علي بن محمد بن أبي زرعالفاسي(ت 726هـ/ 1326م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، (د،ط)، الرباط، 1972، ص 90.

(45) – سورة آل عمران الآية 85.

(46) – جلال الدين السيوطي: **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر، (د،ط)، ج2، بيروت، ص 48.

(47) – عبد النبي بن محمد: " **مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال إفريقية والأندلس**" (رسالة لنيل درجة الماجستير في الحضارة الإسلامية)، تحت إشراف الدكتور عبد الرحمن فهمي محمد، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، 1979.، ص 26.

(48) – حسن الباشا: **الألقاب الإسلامية**، دار النهضة، (دط)، لقاهرة، 1957.، ص 179.

(49) –نفسه، ص 67.

(50) – أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي: **ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المشمر**، (دد ن)، (دط)، ج1،القاهرة، 1324هـ ، ص 10.

(51) –حسن الباشا: المرجع السابق،ص 166.

(52) – سورة البقرة، الآية 124 و سورة الفرقان الآية 74.

(53) – ذكر في كتاب تيسير الوصول إلى أحاديث الرسول، ج2، ص ص 34 ،35.

(54) – **صنهاجة**: عبارة عن قبائل تنقسم إلى سبعين قبيلة منها لمتونة ومسوفة ..الخ. **ينظر**: إسماعيل بن أحمد: **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة، (دط)، الرباط، 1972، ص 27.

(55) – **الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي**: هو أول أمير مرابطي حكم الدولة . وكان شجاعا وكريما. اشتهر برجاحة عقله ونفاذ بصيرته. ينظر: أبو عبد الله محمد بنعذارى المراكشي (ت 695هـ/ 1295م):**البيانالمغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، (د،ط)، ج4، بيروت، (د ت ن) ، ص ص 7، 8.

(56)– **عبد الله بن ياسين** : أصله من قرية تماماتاوت في جنوب الصحراء. درس الفقه، ثم رحل إلى الأندلس لطلب العلم. **ينظر**: أبو عبيد الله البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، (د،ط)، القاهرة، (د،س،ن)، ص 165.

(57)– **لمتونة**: من بطون صنهاجة وأهلها رُحّل في الصحراء.ينظر: البكري: المصدر السابق، ص 175.

المنارة للاستشارات

(58) – **بلاد السودان:** سموا بذلك لسواد البشرة، وهي تفصل المشارف الجنوبية للصحراء الإفريقية الكبرى على الأقليم الاستوائية، ومن الشرق يحده الحبشة ومن الغرب المحيط الأطلسي. **ينظر:** زكريا بن محمد القزويني: **أثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر،(د،ط)، بيروت، (د،س،ن)، ص 111.

(59) – لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، ج4، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1977م، ص 348.

(60) – **الرباط:** أي ملازمة الثغور للجهاد، وهو مكان يجتمع فيه من تفرّغ للعبادة واستعدّ للجهاد . ينظر: محمد فريد وجدي: **دائرة المعارف**، دار الفكر، مج4، (د،ط)، ، بيروت، (د،س،ن)، ص 177؛ سعيد أبو سيف الحوتي: **الموسوعة العلمية في أنساب القبائل العربية**، مطبعة أبو العزم، ط1، بيروت، 2002، ص 387.

(61)– محمود السيد: **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، مؤسسة الشباب الجامعية، (د ط)، القاهرة، 2004، ص 24.

(62)–إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع، الذهبيات، الأولياء)**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، لبنان، 1993، ص10.

(63)– **أودغشت:** مدينة تقع جنوب سجلماسة على مسيرة شهرين، وإلى الشمال من غانة على مسيرة بضعة عشر يوما. ينظر: ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (ت 367هـ/ 977م): **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، (د،ط)، لبنان، 1945، ص 91.

(64) – عبد الواحد المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين**، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1997، ص 17، 18.

(65)– **درعة:** تقع بالمغرب الأقصى . **ينظر:** أبو عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت 727/ 1326م): **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان ،ط2 ،1984، ص 235.

(66) – ابن عذرى المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص ص 14-17.

(67)– **المصامدة:** نسبة إلى قبيلة بالمغرب (مصمود) من ولد مصمود بن يونس بالمغرب الأقصى على مقربة من أغمات. **ينظر:** ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1405م): **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتب العلمية، (د،ط)، ج6، بيروت، 1983، ص 245.

(68) – **يوسف بن تاشفين (400– 500 هـ/ 1009– 1106م):** هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم اللمتوني الصنهاجي تلقى تعليمه بقلب الصحراء من أفواه المحدثين والفقهاء فنبغ بالسياسة الشرعية وأتقن فنون الحرب. ينظر: ابنخلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت 681هـ/ 1283م):**وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، (دط)، بيروت، 1977، ص 130.

المنارة للاستشارات

(69)– **جزولة:** لها بطون كثيرة من قبائل صنهاجة. **ينظر:**ابن خلدون: العبر، ج6، ص 203.

(70)– **تارودنت:** تقع بالسوس وقاعدة له وأهلها يتبعون المذهب المالكي. **ينظر:** حسن الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي : **وصف إفريقيا**، ج1، تر: محمد حجي ومحمد لخضر، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1983، ص117.

(71)– **جبل درن:** يقع بالمغرب الأقصى . ينظر : الحميري: المصدر السابق، ص 243.

(72)– **برغواطة** : عبارة عن مجموعة قبائل اتبعت مذهب طريف بن شمعون الذي ادّعى النبوة وسنّ لهم شرائع باطلة. **ينظر:** ابن خلدون: العبر،ج6، ص 245.

(73)–ابن أبي الدينار أبو القاسم الرعيني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة، ط6، بيروت، 1993، ص107.

(74) – ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص 25.

(75)– **مراكش:**مدينة بالمغرب الأقصى بينها وبين البحر 10أيام، تقع شمال أغمات، بناها يوسف بن تاشفين سنة (470هـ/ 1080م).ينظر: القزويني زكريا بن محمد: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر،(د،ط)، بيروت، (د،س،ن)، ص111 ؛ الحميري: المصدر السابق، ص 540.

(76)– **فاس:** مدينة بالمغرب،أصلها مدينتان يفرقبينهم وادي فاس. **ينظر:**حسن الوزان: المصدر السابق، ص196 ؛ الحميري: المصدر السابق، ص 434.

(77)– **غمارة** : بطن من بطون المصامدة،منسبغمار بنمصمود.ينظر :ابنخلدون:العبر،ج6، ص25 .

(78)– **سبتة:**في مدخل مضيق هرقل.ينظر:الإدريسي: المصدر السابق،ص247 ؛ حسن بن محمد الوزان الفاسي: المصدر السابق، ج1، ص ص 316-317.

(79) – محمد عبد الله عنان: **دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي العصر الثاني**، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة،1389هـ، ص 313.

(80)– **زناتة:** تتكونمنقبائلمكناسة، مغراوة،وغيرهمنالقبائل.ينظر:ابنخلدون: العبر،ج6 ،ص28 .

(81) – موسى لقبال: **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 296.

(82)– لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 144.

(83)– **ألفونسو السادس:**ابنفردينانداالأولوكانتتسميتهعندالمسلمينبأدفونش، وهو من ملوك قشتالة. ينظر: لسان الدين ابنخطيب :أعمال الأعلام، ص24 .

(84)– مؤلف مجهول:**تاريخ الأندلس**، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2007، ص 262.

المنارة للاستشارات

(85)– عبد الله بن بلكين: **التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة**، تح: على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2006، ص ص 201-205.

(86)– **سرقسطة**: تقع شرقالأندلسوسميتبهذاالاسملأنأسوارهامنحجارةالرخامالأبيض. ينظر: مؤلف مجهول:**مفاخر البربر** ، تح: عبد القادر بوباية ، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر ، الرباط ، 2005، ص 74.

(87)– **الزلاقة**: تقع غرب الأندلس بإقليم بطليموس. ينظر:الحميري: المصدرالسابق،ص288.

(88)– مؤلف مجهول: **الحلل الموشية في ذكر أخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامه، دار الرشاد، ط1، الدار البيضاء، 1979، ص 86.

(89)– حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين**، دار الفكر العربي، (د،ط)، القاهرة، (د،س،ن)، ص ص 120،121.

(90)– **حصن ليبط**: يقعبقرىملورقة. ينظر:كمالمصطفى: **تاريخ الأندلسالاقتصاديفيالعصرالمرابطيّنوالموحدين**، مركزالكتاب،(د،ط)، الإسكندرية، 2007 ، ص43 .

(91)– مؤلف مجهول: الحلل الموشية ، ص ص 76،77.

(92)– **غرناطة**: مدينةبالأندلسبينها وبينالبحرمسافةأربعةأيام.ينظر:ياقوتالحموي: المصدرالسابق،ج4 ،ص122 .

(93)– **اشبيلية**: مدينةكبيرةبالأندلسبينهاوبينقرطبةمسيرةثمانيةأيام. ينظر: مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس،ج1، ص61؛ زكريا بن محمد القزويني: المصدرالسابق، ص53 .

(94) – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي بن الآبار(ت 658هـ/ 1260م):**الحلة السيراء**، تح: حسن مؤنس، الشركة العربية للباعة والنشر، ط1، ج2، القاهرة، 1963، ص 103.

(95) – **المرية**: مدينة بالأندلس، بينها وبين مرسية خمسة مراحل، أحدثها العرب في الإسلام.ينظر :أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي (ت 559هـ/ 1166م): صفة المغرب وأرض السودان والأندلس من نزهة المشتاق، تح: دوزي ودوخويه، (د ن)، امستردام، 1969، ص28 .

(96) – أبو الحسن علي بن محمد بن أبي زرع الفاسي(726هـ/ 1326م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، (د،ط)، الرباط، 1972، ص 109.

(97) – نفسه، ص 159.

(98) – أبو عبدالله محمد ابن تومرت (524هـ): **أعز ما يطلب**، تقد وتح: عمار الطالبي، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب (د،ط)،الجزائر ، 1985، ص 245.

(99)– محمد رضا المظفر: **عقائد الإمامة**، (د،د،ن)، ط3،(د،ب،ن)، 1973، ص 71.

(100) – عبد المجيد النجار: **المهدي بن تومرت**، دار المغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1403هـ، ص 362.

المنارة للاستشارات

(101) – حيث قال حينما تحدث عن صفات الله: "واشتغلوا بتعلم التوحيد فإنه أساس دينكم، حتى تنفوا عن الخالق التشبيه، والشريك، والنقائص، والآفات، والحدود والجهات، ولا تجعلوه سبحانه في مكان ولا في جهة فإنه تعالى موجود قبل الأمكنة والجهات فمن جعله في جهة ومكان فقد جسمه ومن جسمه فقد جعله مخلوقاً ومن جعله مخلوقاً فهو كعابد وثن". ينظر: أبو عبد الله محمد ابن تومرت (524هـ): المصدر السابق، ص 204.

(102) – عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 275.

(103) – **الأشعرية**: الأشاعرة فهم أتباع أبوالحسن الأشعري (260- 324هـ/ 873- 935م)، مشهور بالبصرة ويعود نسبه للصحابي الجليل أبو موسى الأشعري. ينظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 143.

(104) – حيث يذكر ابن خلدون أن ابن تومرت هو الذي حمل أهل المغرب على القول بالتأويل والأخذ بالمذهب الأشعري في كافة العقائد. ينظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص 466

(105) – عبد الله علي علام: **الدعوة الموحدية بالمغرب**، دار المعرفة بالقاهرة، ط1، 1964، ص151.

(106)– **محمد بن تومرت**: ولد سنة 485هـ في ضيعة بلاد السوس تعرف بايجيلز، من قرى هرغة من قوم إيسرغين، ولما أصبح شابا رحل للدراسة والتحصيل حيث أخذ العلم بقرطبة ومنها رحل إلى ناحية المشرق الإسلامي بحرا، ووصل إلى بغداد ، وتحصل على علم الكلام والأصول ،وهناك التقى بأبي بكر الشاشي وغيره من المحدثين. ينظر: أبا بكر بن علي الصنهاجي البيذق: **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، تح: عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب،ط2، الجزائر، 1986، ص ص 28 29.

(107) – ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 38؛ عبد الرحمن بن خلدون: العبر، ج6، ص 226.

(108) – أبو عبد الله محمد بنعذارى المراكشي (ت 695هـ/ 1295م):**البيانالمغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، (دط)،ج1، (دت ن)، ص 435.

(109) – سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي**، الإسكندرية، منشأة المعارف، (د،ط)، ج5، 2000، ص 159.

(110)– **تينملل**: تقع على بعد كلم واحد على طريق مراكش، ويوجد بها قبر المهدي ابن تومرت. ينظر: أبو القاسم محمد بن أبي العلا محمد بن سالم المالقي الغرناطي:المصدر السابق، ص 183.

(111) – **عبد المؤمن بن علي**: هو عبد المؤمن بن علي الكومي زناتي الأصل، وكان والده علي فخارا يعمل النوافخ، وكان عبد المؤمن قد تطلب منذ صغره، ولزم المساجد لدرس القرآن، بويع بالخلافة سنة 524هـ/1130م، ووحد بلاد المغرب ونظم الدولة الموحدية. ينظر: ابن خلكان: المصدر السابق، ص ص 237-238.

(112) – ابن خلدون: العبر، ج6، ص 560.

(113) – يرى الدكتور حسين مؤنس: أن قول ابن تومرت بالتوحيد وتسميته أصحابه بهذا الاسم إنما كان له أكثر من مغزى سياسي، بينها. ينظر: حسين مؤنس: **"عقد بيعة بولاية العهد"**، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، مجلد12 ، القاهرة، 1950، ص149.

المنارة للاستشارات

(114) – عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 191.

(115) – **المصامدة:** هم بني مصمودة بن يونس بن برر وهم منأكبر قبائل البربر وأكثرهم عددا وتتميز هذه القبائل أن وجودها منحصر في القسم الغربي من المغرب الأقصى. ينظر: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ/ 1418م): الصبح الاعشى في صناعة الانشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب، (دط)، ج3، بيروت، 1987، ص 234.

(116) – البيذق: المصدر السابق، ص ص 28، 33.

(117) – **البحيرة:** تعني عند المغاربة البستان، حيث سمى البحيرة، وقد عرف هذا العام أيضا بعام البحيرة. ينظر: الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني بنالأثير(ت 630هـ/ 1232م): **الكامل في التاريخ**، دار الكتب العلمية، ط1، مج9، بيروت،1987، ص 200.

(118) – علي الجزنائي: **جنى زهور الآس في بناء مدينة فاس**، تح: الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1991، ص 44.

(119) – عز الدين موسى: **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1983، ص 76.

(120) **–أبو يوسف يعقوب المنصور:** ولد سنة(1160هـ/ 1747م) وهو ثالث خلفاء الدولة الموحدية، حكم بعد وفاة أبيه وكانت في حياته أحداث كثيرة أثرت في العملة واقتصاد البلاد، وهي ثورة ابن غانية، وتمرد نصارى الأندلس على الدولة، وأحرز نصرا كبيرا على المسيحيين. ينظر: ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص 26.

(121) – الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضون، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1966، ص 164.

(122) – مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، اعتنى بإصدارها ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، ج10، 1941، ص 132.

(123) – عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الدول والدويلات**، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، بيروت، 2005، ص ص 268- 269.

(124) – **الدولة الرستمية:**(160- 296هـ/ 776-909م) تنسب إلى مؤسسها عبد الرحمن بن رستم في تاهرت. ينظر: الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني بن الأثير: المصدر السابق، ص32.

(125) – رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وحضارته، دار الهدى، ط3، عين مليلة، الجزائر، (دت)، ص 37.

(126) – رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 1984، ص20 .

(127) – بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكيه في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، (دت)، ص 720.

المنارة للاستشارات

(128)- **الدولة الفاطمية:** منهم من يطلق عليهم الدعوة العبيدية، حيث تعدد الخلاف حول نسب هذه الدولة فنجد بن خلدون والمقريزي يؤكدان نسبهم إلى فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص ص 757- 758؛ أبو العباس تقي الدين أحمد علي المقريزي: **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأمة الفاطميين الخلفاء**، تح: محمد أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط1، ج1، بيروت، 2001، ص ص 03-21.

(129)- ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ج1، ص ص 160، 165.

(130)- سورة النور الآية 54.

المنارة للاستشارات